جماعة تراب الأدبية – الكتاب الأول

قمر من خمرها

شعر :
البيومي محمد عوض

نادي أدب الدقهلية

رقصة أخرى!!

(١)

أسرفَ القرّاءُ فى شجبِ غموضِى
وغنائِى للحماماتِ..، ألا ابيضّى..، وبيضِى
وغنائِى للصَّبايا..،
والفساتينِ الجديداتِ..،
وقنديلٍ مريضِ
أهدرُوا وجهى..، لأنّى- وأنا الحرفُ المصفَّى-
أفرضُ الآن فروضِى
وأردُّ المطرَ المنفىَّ للأحضانِ..، والبرق المهيضِ
ربَّما ألهو قليلاً..،
أضربُ الجمرَ بخمرٍ..،
وأُهاذِى سندياناتِ النقيضِ
ربَّما ..
لكنَّنى – منْ تعرفُ الأشجارُ –
صهريجُ السَّما والعشبِ والتوق العريضِ
أهدرُوا وجهى..، لأنى قلتُ للشمسِ..
استحمِّى بذراعِى..،
وغسلتُ الشوق فى طستِ الوميضِ !!

(٢)
أىُّ شئٍ يقمعُ الرقصةَ ..
إن فارتْ بجسمِى وكلامِى؟!!
يا انبجاساتِ الغمامِ
يا انبجاساتِ اليمامِ
ليس إلا رقصةٌ أخرى..
على سيفٍ أوامِ
ليس إلا رقصةٌ فى المترامِى!!
(٣)
وجهكُمْ عصفُ الظنونْ
فلماذا رحلةُ المغنى تريدون لعينيها تهونْ؟!!
بينما رحلتكُمْ للخبز نزفٌ وشجونْ
هل تصوَّرتمْ سراعاً تعبرونْ؟!!
يا أُصَيحابى غلطتُمْ..،
شجرُ اللؤلؤِ ينمو فى اعتصَاماتِ المَحَامِى..،
فاذكروا موت المغنىِّ..، وتسخَّوْا..،
أنفقُوا فى الشِّعر صاعاً من معاناةٍ..؛
وصاعينِ من التأويلِ..؛
إن الحرفَ حمَّالُ شؤونْ

يا أصيْحابى الكسالى..
رحلةُ المعنى جنونْ
رحلةُ المعنى انبعاثٌ فى المنونْ!!
(٤)
جُرمىَ الفادحُ أن الورْد أستاذِى..،
ولى روحٌ وَردُها يعوِى..،
وتكرارى عدوِّى..، وحوارِيِّى السفَرْ
وخيارِى الإستراتيجىُّ..
أن أنزف أوجاعَ الشجَرْ .
وأخطَّ الفجْرَ..،
والرؤيا حجَرْ
وأدوِّى لتشاقيق التمنىِّ
وأغنىِّ..،
- ربما فى سطوةِ الوقتِ قتيلاً-
ليسَ إلا لأغنِّى!!!
(٥)
عندما يكتملُ البدرُ أباريقَ وخمراً وكؤوساَ
عندما يكتملُ البدرُ حِسَاناً وحُدُوساَ
عندما يكتملُ البدرُ- ولا قبلُ- فزفَّانى عريساَ

ودماءً..، وحنوطاً..، وشموساً
لا جنَىَ فى اللا أوانِ
عندما يكتملُ البدرُ..، فقومَا دليَّانى
فى النَّدى.. والشِّعرِ..، والبنت الحميَّا..،
فى ابتهاجِ دليَّانِى..
فى انبعاثِ الوطنِ الأسودِ..، كالسَّيفِ اليمانِى
عندما يكتملُ البدرُ..، فقولا :
فرسُ الثورةِ فتَّانُ الحنانِ
فرسُ الثورةِ فتَّانُ الحنانِ

(٦)

أحسِنوا الظَّنّ قليلاً..، أو تنحَّوْا عن طرِيقِى
إننى أعرفُ أبعاد براحِى ومضيقِى
إننى يا إخوتى..، فى الرحم الجمرِ العميق
إننى قوسُ ابتهالاتِ المروق
حدِّقوا الآن ترونى جاثياً..، أسترزقُ الله..
نموراً من رحيق
إننى يا إخوتى فى مجدِ صدقِى.. لا أبالِى
سأديرُ الروح فى الليلِ الإلهىِّ..،
سأمضى فى التلالِ

أجمعُ الأحطابَ..، والأنجمَ.. فى حِجْرِ الزَّوالِ
ثم أثوى فى "احتمالِ"
يا أصيْحابى النَّشاوى..،
هل تصورتم تحاريقَ الجمالِ؟!!
لا تقاتلنى صدِيقى..،
كم برمح اللونِ من نزفِ غزالِ
كم بفصِّ النورِ من ذوبِ جبالِ
لا تقاتلنى صديقِى..،
آهتِى الغامضةُ الحيَّرتِ الوغىَ وقلبى..،
هى تيهٌ غجرىٌّ قتلَكْ
لا تقاتلنى صديقِى..،
إن هذا الكونَ؛ نصفٌ مشمسٌ
نصفٌ حلَكْ
وأناَ فى فرنِ روحِى لا أُبَالِى
رضىَ العالم..،
أو أفتى- عفيفاً- باغتيالِى!!!

١٢/٤/٢٠٠٢م

اللؤلؤة

يا طيورَ السماء البعيدةِ .. كونى معَهْ!!
الحصانِ المجنَّحِ بالجرحِ .. والزوبعَهْ
احمليهِ إلى الأرضِ ..
من زعفرانَ .. وأشرعةِ .. وصباَحْ
احملى الوجعَ المستباحْ
ارفعيهِ إلى الشمسِ .. زجِّى به في التسابيح..
والبوحِ..،
ألقِى به في البحورِ التي لا تسيئْ
أبداً لا تسيئْ
فهناكَ .. سيخلعُ .. يخلعُ .. ثم على رابياتِ النَّجاوى
يصلِّى صلاةَ التراويح منسكباً صبوةً وندى ..،
وسيرفعُ منها بيوتاً مظلَّلة بالسواقِى ..
ومملوءةً بالعصافيرِ ..؛
منها جبالِ الحرابْ
أيها الفقراءُ الذين رمونى ..،
أصلِّى لكم فوق سجادةِ من عتَابْ

كيف بالله هُنتُ؟!

وكيفَ بداجيةٍ سرقوا سترتِى .. وعيونى .. والمشتهى..،

وحقولَ الصهيلْ

كيفَ كيفَ يُداسُ الضُّحى؟؟

فتذلُّ ربا الياسمينِ ،وتنطفئُ الروحُ ..،

تنهشُها ساعراتُ الأفولْ

يا طيورَ السماء البعيدةِ..

يا رشقةَ النورِ في جبهةِ المستحيلْ

يا يواقيتُ في مفرقِ النهرِ..،

يا فرحةَ الرَّكضِ لله ..،

قولى له ..

للمواقيتِ تخضَرُّ فى شفتيْها السَّماءْ

وتفرُّ الشياطينُ حين يطلُّ عفياً

كرمحٍ بَهاءْ

كيف يمنعك الكبريَاءْ..

من بكَاءْ؟

من سفَرْ؟

فى رفيفِ القناديلِ ، فى وشوشاتِ النَّهَرْ

إن دمعَكَ آخرُ جندكَ ..،

فاقذفْ به فى جبينِ القماءةِ ..،

فالمنتهى يوم تبكى شجَرْ

وقمَرْ

ورُواءْ

وطيورَ اشتهاءْ

حاجزُ الذكرياتِ عنيدٌ فلا يتطامنُ ..

- أعرفُ -

والحلمُ والتوقُ سبحَ دمائك موجعةً

يزرعانِ الرياحَ تدمدمُ ..

- أعرفُ -

لكنَّما يستبينى القرنفلُ فى الزَّمنِ الـــ مِنْ شموسٍ

يهلُّ ..،

فهل تكسرُ الحمحماتُ انكساراتِهَا ؟

وتحاول نسيانَ عاقرِها ..،

وتعيشُ لضحوةِ بعْثٍ حميميَّةٍ .. والدُّموعَ ..،

تصيحُ :

حقولَ البُكَا..

فتَّحى النَّجمةَ المرجأةْ
فأنا النَّجمةُ المرجأةْ
والحمامُ أناَ..،
فاحتوينى ..
كما لحظةِ العشق..،
غوصِى ببوحِىَ فى خمرةِ الصَّمتِ..،
غوصِى..
بجرحِىَ..
فى خفْقةِ اللُّؤلؤةْ!!

يوليو ٩٨

امرأة تراودني عن الأحزان

اغرس بشطِّ البوحِ حزنَكَ .. وانتظِرْ ..، عمَّا قليلٍ مــن غبــارِك والتَّفرُّسِ ..
تدهمُ الأشجارُ غرفتَكَ المضاءةَ بــالهروبِ .. ترشّــها بكواعــبِ وحمامَ مبيضٍّ
الهديلِ .. وصورةٍ لأبيكَ وهْو يلملمُ الأرضَ المشــظَّى تربُهــا .. ويوضِّئُ
الأوجاعَ بالقمرِ المطرَّزِ بالسماحِ وبالمحبةِ..،
أيها الولدُ المشجَّرُ والوحيدُ..،
وبالعصافيرِ المهلَّةِ مــن معتَّقــةٍ بــأرواح الرَّوابــى والطفولــةِ والكواكبِ .. سوف
ترفع بيتَك المعمورَ فوق حديقةِ الكلماتِ والنورِ المعذَّبِ .. سوف تنهمرُ
الجيادُ على يديكَ فتذبحُ القبحَ الململــمَ مــن أقاصِــى الــذّلِّ .. والمزروعَ فِى
أغلى البناتِ .. فآهِ يا ليلــى السَّــموقةُ والشَّــهيةُ .. يــا بــلادَ الشمسِ....

والصّلواتِ .. والصّهواتِ .. والأطفالِ تخرج من أصابعهم كتـــبُ النهار..،

وتخرج الأسحارُ ترتقصُ المآذنُ فى عباءتها .. وتسبيحُ الشيوخِ الذاهبينَ

إلى المواقفِ .. والخطابِ .. ويطمعــونَ ..، ويخــرجُ العشّـــاقُ والجمرُ المبينُ..،

ورحلةٌ لاتنتهى فى الأقحوانِ .. وفى الشوارعِ .. والفواتحِ..

أيها الولد المصفَّى والشفيفُ..،

وسوف تلثم كفَّ أمك ..، سامحينىَ إن كعوبُكِ زانهـــا عشـــرون فلقاً كالأهلَّة..،

سامحينىَ إن رقدْتِ لأوّلِ الليل السَّحيق على ســـريركِ تـــرهقين فؤوسَنا فى موسمِ

الزرع الجديدِ .. ولا أبى فى حِضنِكِ الصديانِ .. ثم ولا أبـــى .. أوَّاهُ .. ينشرها

الخصوبةَ فى العيونِ .. وفى الكلامِ .. وفى كراريس العيـــالِ .. وفى المساءاتِ القريبةِ

منكَ ياقمرَ المراعى .. سامحينىَ إن حملتُ الشِّـــعر .. فـــانبثق الغيابُ يمامةً بريَّة تجتاحُنى

وترجُّنى وتشدُّنى..،

ضعفى أمام البحرِ مبتدأ ٌ..؛
ولا خبرٌ عن التفاحِ .. والزلزالِ .. والفيروزِ .. لا خبرٌ..،
هى امرأةٌ تراودنى عن الأحزانِ .. طازَجَةٌ كحبة برتقالٍ فى أوانِ القطفِ..،
مارحةٌ على هدبِ السماءِ .. تريدنى فى السَّاجدين المخلصينَ .. تريدُنِى..،
وأنا الملولُ فلا أَقَرُّ..،
فكيف أصبحتُ الغداةَ مكسَّر الإحساسِ مكتئباً ..، أحنُ إلى التـــى حين الوداعِ
تبسَّمتْ .. والدمعُ كالسكينِ يحفر روحَها ..، وتنوحُ: لا تركـــبْ جوادَ البعدِ ..،
بعدَكَ لن أكونَ .. ولن يكونَ العاشقون..
ولن تكونَ البلدةُ العذراءْ !!

نوفمبر ٩٨

الشاهد

الليلُ عزيزٌ ..
يا موجَ الكسلِ الذَّهبيِّ ، الليلُ ..
عزيزٌ ..،
لن يمنحَكَ السِّرَّ البكرَ .. وأنتَ هنا ..،
الليلةَ تخرجُ..
تنتظُر الليلَ القادمَ من عند الله ، الليلةَ..
تحضنهُ..،
أنهارُ حنينِك تسكُبُها..
تحت القدمِ المخضوْضرةِ الأنوارِ ..،
وترشفُ عَرَقَ الجبهةِ..
يهدرُ عطرُ السِّدرةِ..
في القطراتِ..، الليلةَ يا مشتاقُ..
فهيِّئْ فرسَ القلبِ ..
على رابيةِ العطشِ الأزرق ..،
هيئْ يا مكذوبَ اللوعةِ ..،
قد سبقتْ قططٌ سودٌ..
وكلابٌ سودٌ ..؛

مردودٌ فى أوجهها ما اسودَّ من الأبوابِ ..
ومن مدنٍ وقحَةْ ..

**

لا أوسعُ من ليلٍ ..
وجراحِك يا فرسِى الشّاهدُ..،
فاتفُثْ:
يا ليلُ احضِنِّى حتى تدخلَنى..
فأهبَّ..
وأعرجَ وطناً..،
شجرةَ كافورٍ تمطرُ شمساً..
وصبَايا..،
احضنِّى يا رمحَ الصَّرخةِ..
لأزلزلَ ولداً كانتْ أمِّى ترضعُه كىْ أشبَعَ..،
تحضِنُهُ..
ليدمِّرنى الليلةَ طفلٌ يبكِى..
فى أقصى العالم..،
وأحاولُ أقبضُنى .. فأفرُّ كموتٍ عذبٍ..،
وفتاةٌ فى أقصى الروحِ.. تشقُّ ثيابىَ..
تصرخُ:
نهدِىَ ويزِفُّون كذبْتِ..

عيونى ويزفُّون كذبْتِ..،
احضنِّى .. يا ليلُ .. احضنِّى
وارسمنى .. ذبحاً ..
ودماءَ !!

**

الليلُ قوافلُ ماشيةٌ فى المطرِ ..
وحاديها الفردوسُ المفقودُ المفقودْ
الليلُ الشجرةُ من صلصلةِ الموتِ..
الليلُ عيونُ الوقتِ..
الليلُ الحضرةُ .. والملكوتُ المفرودْ ..
والليلُ الدودْ
والليلُ التفاحُ من الجَّنةِ يا فرسِى
فاختَرْ لصبانَا ..،
إنِّىَ مكتملٌ بالموتِ ومجمرَةِ المشْهُودْ ..
سلَّمتُ لك الأيامَ ..،
فحسبُكَ من صمتٍ ..،
إنَّ المرأةَ فِى الصرخَةِ تصعَدُ ..
والأطفالَ على نَزَقِ البارُودْ !!

يوليو ٩٨

الشبابيك

أيُّهما أوجعُ للروحِ : الجسدْ
أم..
طائرٌ منكسرٌ فى شَرَكِ النهارْ ؟
يئنُّ كانهيارْ
ودائخاً يدورُ..
يرمقُ المهاجراتِ للزرقةِ..
من ثقبٍ..
يظلُّ ريثما انسدادِهِ..
يسرِّبُ الجرارْ
يسرِّبُ العطشْ !!

**

أفتحُ شباكَ الجحيمِ ..،
برتقالةٌ ..
تَدَلَّى من رياحٍ ..،
كلَّما ..
حاولتُ قطفَها ..تغوصُ ..
فى نداءاتٍ ..،

فأصرخُ .. المدى أوجعُ..
أم..
أبٌ بحضنِ البحرِ مخطوفٌ..،
فيا من يفردُ الجلبابَ..
إن خيطَه الخريطةُ الهواءُ ..،
إن جمرَه انتفَشْ !!
**
انظرْ..
عصافيرُ على جرفِ هواءٍ ..،
كيف ظنتْ ؟!!
...
طعنةٌ عبر الفضا مارقةٌ..،
تُرى..
تحطُّ أينَ .. أينَ ؟!!
...
طفلةٌ كاللبنِ الحليبِ ...
عند نقطةِ الحدودِ ..، تفقدُ ..
الأخيرَ من ثيابها..
فتضربُ السماواتِ بعينيها...،

كأنها رأتْ...
عَرياً جميلاً ..،
كلَّما..
تنوشُه المناسرُ ارتعشْ!!

**

لا تشتفِي ..
من ناهدٍ .. ووردةٍ .. وفروِ موسيقى..
ولا من الشموسِ تشتفى

...

يا ليلةَ الودادِ..
يا الجمالُ فى الولادةْ
الجسدُ اللا ينطفى
أمِ الشفوفُ..
حينَ يملأُ البياضُ سلَّةَ الغفرانِ..
بالهديلِ والزِّيادةْ
وبالدَّهشْ ...
أيهما أبهجُ للروحْ ؟!!
أيهما أنعشْ؟!

إبريل ٩٩

فيم يفكر دمعك يا أختى ؟

(١)

يا أعلى شجرةِ كافورٍ فى الدنيا..

يا أعلى مطرٍ فيها..

أيتها الطيبةُ الفارهةُ الجلْوةِ..

يا أعلى ورقَةْ

اللَّحظةَ..

هذى المزحُومةَ بالقمرِ الطَّالع..

بعد دمارِ الرُّوح ..،

اللحظةَ يا عذْرا..،

فيم يفكِّر دمعُك يا أختى؟

(٢)

الهدهدُ فى أعلى الشَّجرَةْ

يرمُقُ..

دوداً يمرحُ..

تحت جفونِ الولدِ النَّائمِ فى الرِّيحْ!!

(٣)

يا آخرَ ضرْبةِ فرشاةٍ..

فى لوحاتِ الماءِ المترنِّحِ..،

يا آخرَ قطرةِ ماءٍ..

فى
أعمق بحرٍ ووجوهْ
أيتها الغيمةُ .. يا سابحةً فى غيرِ ضلوعِى..،
يا آخرَ خيطٍ..
فى..
ثوبِ فتاةٍ يعلكُها خنزيرٌ برِّىٌّ..،
يا آخرَ رجلٍ يخرجُ..
من نار جهنَّمَ .. كى تدخلَهُ..،
اللَّحظةَ..
هذى المزحُومةَ بالقمرِ الطَّالعِ
بعد دمارِ الروحِ..،
اللَّحظةَ..
يا خلصائى..
فيم تفكِّر أدمعُها أختى؟
أعلى ورقَةْ
فى..
أعلى شجرةِ كافورٍ..
فوق الدنيا!!

ابريل ٩٩

نسيم الحافة !!

ركعةٌ من ورق الصَّعقةِ .. نشْوى ..،
قمرٌ من خمرِها!!

ركعةٌ تطلعُ من عينى..
وتستحلفُنى أن أحبسَ الصَّحراءَ..،
أو..
أربطَها من قدميْها فى عمودِ الرَّعدِ..،
أو..
لا أتدلَّى من بعيدٍ !!

ركعةٌ يا صاحبى..،
كوتِ البنتُ الجليليَّةُ جلدَ البحرِ..،
حين اصطففتْ ..،
والشمسُ تجرى فوق أجرافِ الرؤى..،

ركعةٌ من جمرها..،
وتقاطرْتُ جبالاً من سُرًى..
فى خميةٍ بحريَّةِ الأوتادِ..،

للريحِ..
على أهدابِها صلصلةٌ..
من بجع الذكرى .. ومن صخرِ التَّكاشِيفِ..،
فمل بى للهوى..

ركعةٌ فى منزلِ الغيمةِ..،
ضُفِّرتُ على عينِك موتاً يا هوَى...،
عصَّرنى أنَّ حبيبى بنسيمِ القُبْلةِ الأُولى
لتجريفِ المدى والروحَ .. اعتَباً
حمل الأورامَ والرِّجْلَ القديمةْ
واخْتَبَأْ
فى مصبَّاتِ الحنينْ

ركعةٌ للرُّؤية القُصوَى...،
وقد كُحِّلتُ بالذبحِ ...، ومن كحَّلنى .. أَحضِنُهُ..
أكتبه الآن..
فناءً وإرادَةْ
يا هوَى..
عينى مُقَادةْ

إنَّها أجنحةٌ للقنصِ .. والعيشِ على حافةِ وجْدٍ..
يخرجُ الآن لرنوةْ
فالسَّراديبُ السّماويةُ شبَّتْ..
هَيأت من دمِها..
المُشرَعِ فى الصَّهدِ..،
فَقَبَلَتُ النَّدى فى قدميْها..،
إنها أمٌ..،
وأنيابٌ..،
وصبْوَةٌ !!!

فبراير ٢٠٠١

بعيداً قرب أوجاعى!!

تعدُو..
مكسَّرةَ الأصابعِ فى الدروب العميِ..
أفكارى،
تعثَّرُ..،
كانتصافِ الصَّاخَّةِ العذراءِ..
تبصرنى الحجارةُ والسحائبُ..،
يغزلُ الصهدُ الصدىءُ عرائشى..،
أستلُّ جمرَ القهرِ..،
أمعنُ فى الشُّواظِ..،
وفى رمالِ الريحِ..
أحفرُ مقتلى
لا أصطفِى إلاىَ لِى
....
....
كانت عيونُ الصيفِ تشبهُ عينَ أمِّى..
وهْى غاضبةٌ..،
وكانت عينُ أمِّى تغمدُ البحرَ المدبَّبَ فى دمى..،

وتنكّس الشرفاتِ والصفصافَ..
والنورَ المسافرَ فى عيونى..
والمدى الوهَّاج..،
كم تتعزَّزينَ علىَّ يا بنتَ الندى..،
وأنا المعنًّ بالصبابةِ والصدى لعيونكِ
السوداءِ..،
للسُّكنى بعطرِ الناهدينْ..،
لنزهةٍ بحدائقِ الساقين..،
للإغفاءِ فوق ذراعكِ المخلوقَ من ثلجٍ..
وقُبلة عاشقيْن..،

أنا الجميلُ..،
فلو تريْنَ مواجعَ العشاق سيدتى..،
إذن لَبكيتِ لى..،
ولساءَ وجهكِ أن تمزِّق وردةٌ بقماطِها

هل للوجيعِ..
سوى الحديقةِ والأقاصى من زواياها؟!!

بعيداً قرب أوجاعى..
توقَّفتِ اليمامةُ والفتى..،
جلسا على بحرٍ رعيبٍ من حشائشَ..
أشعلا صمتاً خرافياً يشابه مقعدى..،
خوفاً فخوفاً..
هيَّنا جسديْهمَا لمنابتِ الأسفارِ فى شجرِ الغناءِ..،
على ابتهالِ ذراعِها...
حطتْ أناملُ كفِّهِ اليسرى..
كمثلِ حمامةٍ بيضاءَ..
تعرفُنى..
وأعرفُ وجدَها المخطوفَ..،
كم هو شامخٌ هذا البرىءُ..،
ومترفٌ..
كالوشوشاتِ..،
وكم إليهِ من العيونِ..،
يولول الدمُ فى الكرومِ.،
فلا ألومكَ..
يا صراخَ قميصِها المفتوحِ:
واصيفَ التماهى والسنا يمتصُّنى..،

ويزفُّنى للبدرِ..
طرحةَ نجمةٍ زرقاءَ..
حناءَ بكفٍّ الروحِ..،
واصيفَ التراشق بالفتوحِ..
وبالزمردِ..
والنهارِ..
وبالهوى..
الله ما أحلى الهوى..
.....
.....
بل فاضربِ الظلماتِ..
علَّ أرى يدى يا بحرُ..
يا مجنونُ أزماناً بشكلهما..،
فها أنا والدموعُ تلمُّنى..
من بعد ما انفرطتْ عصافيرى..،
ووجهُ أبى المرابطُ..
فى الغصونِ..
وفى الرحيلِ..
وفى جلالِ جراحهِ المجروحةِ الشفتينِ..

هلْ لكَ فى عتابِ الأهلِ؟
بلَّلتَ اليمامةَ والفتى..
فتجفَّفا بحرائق العارينَ فى دربٍ كشيفٍ..
أسرجا عطشيْهما..
وتساقطا للريح..،
هل لكَ فى البكاءِ عليهما مع..
واحدٍ..،
أوْ..
نجمةٍ مخطوفةِ العينينِ..،
هلْ..
هل يا وجعْ ؟!!

إبريل ٩٨

ليلة على حواف البرزخ

إلى شهداء التعب

الباحثين فـــى الرمـــل

عن الشمس العربية

إلى إمامهم .. د/ محمد

أحمد العزب

يوقظنى الليلُ ... يدورُ بى على البلادِ والأعشـــاشِ والأرصـــفةِ الوحيدةْ / ألمُّ ما فيها من الأحزانْ / أصرُّها بعينى / نمضى تجاه البحرْ / نجلس فوق الصخرة البعيدةْ/ الصخرةِ العاليةِ البعيــدةْ/ الصخرةِ البيضاءَ/ نسندُ ظهرينا على النجومِ والريحِ.. ونخــرجُ التصاويرَ التى نحرزُها للبلدةِ الطيبةِ الْيمينُها الجنةْ / نمســحُها/ البلدةِ العذراءَ/ نبوسُها / البلدةِ الرشيدةْ/ ونبكى / نشــعلُ مــن لفائفِ الدماء والذكرى / نبصرُ فى دروبها طفلينْ/ لا يبكيــانِ .. بل يلطمانِ .. يا أبانا .. عدْ من الغيابْ / أنا وهذا الليلْ /

نصارعُ الركوعِ فى دوائرِ الخرابْ

أيتها السماءْ

ردِّى الخنازيرَ عن التفاحةِ الشهيةْ

وسلسلى الطيوبْ

أنا وهذا الليلْ

فى سجْوةِ التثريبْ

بالمدنِ المُغتَصبَةْ

-وبلَّل الدمُ الرجالَ – نلعبُ التحطيبْ /

يغلبنى / أغلبُهُ / يدخلُ فى البحرِ نحيلاً مثلما ســوق العصــافيرْ

ومحنيًّا كما شيخوخةْ / يُدهَش .. منْ يخلعُ نعليــهِ هنــا بغابــةِ

الرمضاءْ ؟ / يدخلُ .. يستنفرُ شمسَ الربِّ / وهْى على المــاءِ

بتولٌ..

تزرعُ الخطوَ عصافيرَ وصدِّيقين يقرأونَ ما يومضُ من أوطانْ /

أنا وبرقٌ غامضٌ /

أنا ورعدٌ غامضٌ /

أنا وكونٌ فى الضبابِ يعبرُ الكونَ إلى اللهِ ..، ويرتدُّ لكىْ يعبــرَ

..،

ربَّما تهجُّد النهارِ ..

ربَّما خطا المواجيدِ..،

أنا والسفرُ الأخضرُ فى النيرانْ /

أنا وحزنــى أن تولَّيــتُ فمــا

صليتْ/

أنا وما رأيتْ/

تفجؤنى الجيادُ والصفصافُ والنوارسُ الصادحةُ الدفيعةْ /
تحملنى إلى هناكَ..
حيثُ لا إلا الجلالَ .. والشذا .. والهضْبةَ الوجيعةْ /
ترفعنى..
ترفعنى..،
كخاتمٍ فى إصبعى ..
أخلعُنى../
كمْ هىَ سخنةٌ كوحيٍ لم يرتَّل بعدُ ..
- من أنتِ ؟
- أنا..
أنا التى أسقطُ من عينيهِ دوماً آن تبكى طفلةٌ على حدودِ الحـــزنِ فى تلك البلادِ ..
هل عرفتنى ؟
أنا الفجيعةْ!!

ألقَوْا على المدى الفراديسَ ..
استقلُّوا النورَ نحو الدورِ .. لم يلتفتُوا
- يا أيها الركبانُ..،
لم يلتفتُوا..،

قال لىَ الصفصافُ : خارجونَ من قميصهِ الأوَّابْ
مدينةٌ وبابْ
عصفورةٌ وسدرةُ الأحبابْ
سبحانهُ من علمَ التعبْ
أن يتسلَّق القلوبَ العاليةْ
كشجْرة اللبلابْ

أنتَ إذنْ ؟
عصابةٌ أم نقعُ غزوكَ الذى.... ؟!
نظارةٌ أم..
ليلةٌ مرهقةٌ على حوافِ البرزخِ السخنِ..
تشارفُ الصبايا والوطنْ ؟
نقشٌ على الرملِ..
أم العشاقُ قبلى والعصافيرُ..
أتوك يكتبونَ الآهةَ السمراءَ فى صحائفِ
النيلِ ونخلاتِ المدى..؟/

منذُ متى..
توضئُ البناتِ والحاراتِ والشموسَ بالقصيدةْ ؟
تحشُ للجيادِ من شعيرِ عينيكَ وثوراتكَ ياشريفْ../
لما اعتزلتَ فى البحارِ..

هل رأيتَ الله ؟ .. هل كلمتَهُ..؟
هل تخبرُ القومَ بما استفدتَ من أسرارْ ..
أم البلادُ فاتها النهارْ ؟!/

ليلٌ أم الحَمامُ أم أساكْ ؟
ينزفُ خيماتٍ من الغبارِ والسعيرِ ..، أطفالاً يربَّى المـوتُ فـى عيونهمْ ... ، لغةً مكسورةَ الأعناق ..، خلجاناً تئنُّ تحت وطـأةِ المدمِّراتِ .. فى فروجِها رمحُ الفساتينِ / السراويلِ الملطخـاتِ بالدوائرِ الشعيفةِ اللعوبْ..
بالبقعِ الصفراءْ
رمحُ الجدارِ الأبيضِ الكذوبْ
ينزفُ أنهاراً ...
ضحًى يلوى رقابَها الأسافيلُ..،
ضحًى..
ينزفُ مكسوراً كما الأمواجِ يا الْوهاجُ..
وارتمى على حجرِكَ..
صورَ البلادَ دمعُه المبحوحُ..،

ليلٌ أم حَمامٌ أم وطنْ ؟!!
مسخَّنٌ للاحمرارِ..
يشتوى باللارجالاتِ وباللا أحصنةْ

– مواصلٌ رحلتَه مولاىْ ؟

– كى يوقدَ الغزلانَ والأطفالَ فى الحوارى..
وكى يرفَّ الوحىُ فوق المئذنةْ

سربَ ندى..
رأيتُه يمشى على الماءِ..
استقلَّ الفجرَ نحو الوطنِ الناسفِ كذبَ اللحظاتِ الراهنةْ
وعالياً..
رأيتُه يطوى المدارْ

خلَّفنا..
أنا وهذا البحرْ
محضَ انتظارْ !!

ديسمبر ٩٨

فتى أخضر يسقى حقول البرتقال

الإصبعُ الأخيرْ..
والزيتُ فى القدورِ يغلى..،
وارتطامٌ قادمٌ ..
عاشرْ!!

*

تورَّدى أيتها الذاكرةُ الرمادْ
أيتها الذاكرةُ الدَّموسْ
ثمة فى المدى فتىً أخضرْ
يسقى حقولَ البرتقالْ
ويلحسُ الفرحْ
فى طبق المواجعِ الشهيةْ

قوسُ قزحْ
أحصنةُ الإيقاعِ فى مُغتسَلِ الصبيةْ
تخاصرُ المدى الجديدَ ..، تخبزُ الألوانَ فى الغالى
ترشُّها فى المنسرِحْ

قوسُ قزحْ

أسماءُ فتيةٍ يعزُّون القمرْ
فيُقتَلونْ

قوسُ قزحْ
دماءْ

قوسُ قزحْ
فوقَ أعالى الجزورينِ..
وفى عيونِ الطيرِ .. فى الأمواجِ ..
حزنٌ دائرىٌّ يرشقُ الترابَ فى البهاءْ

العاشقونَ فى دمائى يدخلونْ
يولولون تارةً ..
وتارةً يصفِّقونْ
ويرقصونْ
يُنثِّرونَ فى النسيمِ مثلما مقابضِ الضياءِ فى الحظائرِ البحريةْ
وتمرقُ الألوانْ
تخترقُ الفتى .. ، فيكملُ السماءَ الناقصةْ
يزرعُ فى عروتِها ..
صحونَ ضحكٍ راقصةْ
تنهلُّ كالمطرْ

ويستوى الحصَى ..،
علـى جرفِ الغناءِ الأبنوسىِّ .. الحصَى ..
برقٌ ..، ويستوى ..،
عصافيرُ تنقِّر الفضا ..
تفتحُ شباكاً لطفلِ الكونِ ..
كى يزينَ الموتَ على الحدائق المفصَّصةْ
حدائق النجومِ والحفيفْ
ويحضنَ الولايةَ الحمراءْ

ألا حنانيكِ حبيبتى ..،
لكعبكِ الفؤادُ انعصرتْ حباتهُ ..
وزُلزلتْ حدائقى زلزالهاَ..
....
....
كان الفتى يسقى حقولَ البرتقالْ
لما الصبيةُ استوتْ على فؤادِ العاشق المخطوفْ
ورقَّصتْ خلخالَها!!

*

الإصبعُ الأخيرْ
والدمُ فى القدورِ يغلى ..
وانتشاءٌ مزهرٌ..
عاشرٌ!!

يا دبلةَ الحبيبةْ
يا وشوشاتِ بضةْ
كلَّفتِنى عشرَ أصابعى ..
وسوقاً من نعيمِ ذائبِ كالفضةْ

اليومَ يا بُشرى..،
غصونُ القلبِ فى العتمِ ترى..
ترى كجذرِ الشجرةْ
ينخلعُ الصفصافُ ..،
هذى أفرعُ الصفصافِ تأتى للفتى ..،
وتنحنى ..،
تلتفُ حول خصرهِ عرساً من "الدِّبَلْ "
ومن صحونٍ ممطرةْ
....
وتستبدُ الشهوةُ المدوَّرةْ !!
تثرثرُ الأشياءُ والنسوانُ فى المطرْ:
يكنسهمْ أن الشجرْ
لا ينتهى!!

مارس ٢٠٠٢

بوح فى دهاليز اللهب

خطوطُ يديكَ شرايينُ شمسٍ بغارِ حراءْ
تسابيحُ مئذنةٍ ..،
تصلُ القلبَ بالبرتقالِ..،
تفتِّقها سكَّةَ الملكوتِ..،
وتنبتُها مدنَ الكبرياءْ
خطوطُ يديكَ..
وصايا نبيٍّ فقيرٍ..
يرود لأحفادِه جزرَ الحلْمِ..
يكسر رمحَ المشيبِ..،
ويعصرُ خمرَ الرِّضاءْ

*

.....

وتمنعنى أن أبوسَ يديكْ
فتمنع ذنباً أراد التطهُّرَ جاءكَ يسعى إليكْ
وتوشكُ دنيا لأسخفَ تبزغُ..،
تكسفُ شمسَ العصافيرِ..،
رحماكَ ، قالتْ: لكَ العمرُ يا كلَّ عمرى
ولى أن أسافرَ محرمةَ الوجدِ فى شفتيكْ

وفى نزق الفرحِ الرغدِ حينَ يفورُ المطرْ
أحمحمةَ النورِ هزّى الزوايا..،
ألم نتوضأْ بأوزارنا..، فلبسْنا البهاءَ..
صهيلَ البراءةِ يعدو..
وباركَ موجُ العبيرِ سفارتَنا للقمرْ
حميماً – كآخرِ حصنٍ – أبوحُ إليكْ
فلمَّا تركتُ محاضرةَ النقدِ فى الأدبِ العربىِّ ..
ضحكتُ إلى آخرِ الخوفِ ..،
كانتْ هنالك فى لحظةِ الضوءِ..،
كانتْ تهيِّئُ مجلسَنا بأعالى الشجرْ
وبهوِ الجَمالْ
فروضتُ مُهرَ القصائدِ..
أكبرَ من أىِّ أسئلةٍ..،
وحدها شرفاتُ المحبين تملِى السؤالْ
حميماً – كآخرِ حصنٍ – أبوحُ إليكْ
فلمَّا غزلتُ الفؤادَ شِباكاً..،
قنصتُ الولايةَ ..،
كم كنتُ أجلسُ تحتَ الشبابيكِ ..،
أرقبُها فى خشوعِ المريدينَ..
أولَ شمسٍ تطلُّ..

أعبِّئُها فتنةً ، وتعبِّئني فرحاً..،

أيها العاشقونَ إليكمْ حديثى :
بآخرِ قطرةِ دمٌ نزفتُ..
عرفتُ..
وجزتُ مدّى قدسيَّ الحميَّا..،
وفوقَ الرماحِ مشيتُ..،
فرشتُ مشيئةَ عشقى بعينِ الزوالْ
يفجِّرنى الجرحُ..،
يسَّاقطُ الضوءُ منِّى..
يبشِّرنى ..، ويبشِّر بى تا الحياةَ..،
لغيرِ الفناءِ خُلقتَ..،
وجئتَ لتمنحَ حتى النزيف..،
وتنزفَ حتى تهبَّ الغلالْ !!

تصدَّقُ أبتى..
معنا بمساءاتِنا البحريةِ كنتَ تجدِّف صوبَ..
السنا الأبديِّ سنا أزلياً
وكنتَ تضفِّر أعضاءنا المشرقاتِ..،
وتعلنُ أن السماءَ لنا..
والغدَ الرحبَ..
والفرحَ المخمليَّا

وتعلنُ عن مهرجانِ الفراشاتِ يا والدى
تصدَّقْ...
كنا ثلاثَ قصائدَ خلف المدينةِ نكتشفُ المنتهى نتزَمزمْ
ونكتبُ فوق ترائبِنا سورَ الفجرِ .. والعادياتِ ومريمْ
وكنَّا ، يشبِّكُ بين خطانا وضوءُ الصهيلْ
ونفتَتِحُ المستحيلْ
......
......
وكانا فتًى وفتاةً..
وفاتحةً..
تتوامضُ إذ رُمَّ كل الضياءِ..،
ضياءً بلون الجوافةِ..،
يهمى شموساً وغاباً
وفاكهةً وسحاباً
غناءً..
كأنَّ مهاةً..،
وأخبيةً مشتهاةً كنغمةِ عودْ
ضياءً يرودْ
يعودُ حقائبَ مترعةً بالظلالِ..،
يرقرِقُها بهجيرِ القرى الصابئاتِ..،
مدى الآتياتِ..

يظلُّ شهياً ندياً
يظلُّ بشارةَ أبهى
يظلُّ..
نضيراً
نضيراً
.....
.....
وكانا رضيعاً وأماً..،
ومائدةً من سماءٍ..؛
تفتِّق جوعَ الصبايا/ الشراعِ..
لحضنِ الشواطئِ..
يكتبْن فوق منائرها..
ما الذى قاله الموجُ إذ هنَّ فى البحرِ..،
أيتُها النخلةُ العربيةُ..
إنَّ المدى العاشقونَ..،
وهذا الترابُ حداءُ الحنينِ..،
فسلِّى النَّدى..
كى تسيلَ النجومُ خريراً
....
....
وكانا منعَّمةً وأباها..،
وطوبى من الدهشةِ اللاحدودَ لها..،

وهدايا..،

وحلوى..،

وميلادَ شعرِ الفواكهِ والأقحوانِ..

القوافى العصافيرُ..

أوزانهُ البلحُ الأرجوانُ..،

فيمطرُ..،

يختصرُ الضوءَ واللامدى ..،

والفتوَّةَ والمشتهى..،

يتحدَّى الغروبَ..،

ويشربُ فنجانَ فرحتِه بتخومِ الرِّضا..،

يترسَّلُ..

قدْ جئتكمْ لأبيِّنَ بعض الذى فيه تختلفونْ

أوزِّع ضوءَ عيونى بكلِّ العيونْ

وأمضى..

بصيراً

بصيراً !!

....

....

وكانا..

تنامُ أصابعُه بحريرِ أصابعِها النغماتِ

فتشرقُ فى جسدينِ/ خلاياهما..

ألفُ شمسٍ ..،
يهلان معجزتيْن..،
كأنَّ المدى قطةٌ سكنتْ دفءَ كمَّيْهما
ليس ثمةَ أحلى..،
شعاعانِ طابا عناقاً..،
جريئانِ واستبقا الوردَ..،
وانفرطا ليس ثمة أجمعَ..،
ليس يحوزُهما..

قمرُ الشهواتِ

تقولُ:
أخبئكَ الآن تحت ثيابى..،
أقوتُك ما شئتَ من ثمرى العربىِّ..،
وأسقيكَ شهدَ رضابى..،
وأكتمُ أمّى حديثَك..،
أكتمُ حتى اعترافاتنا ، نحنُ أبهى..
وأجملُ..
أقدسُ يا أيها القمرُ العربىُّ..،
وأنضجُ من أنضجِ الضحكاتِ
يقولُ:
بربّكِ .. ها خبّئينى...

ولا تغضبى ذا اليمامْ
عيونُ المدى جارحاتٌ..،
ولحمى طرىٌّ ..، كلحمِ الغمامْ
أبوسُ يديكِ ، خذينى ..،
وشدِّى وثاقى..،
يشرِّدنى البعدُ عنكِ ..، يدمرُنى..
فاستقيمى..،
وخافى جنونَ الغرامْ ...
وتأخذُه..
ويبورُ البوارُ..،
وتُشفى الجراحُ..،
وترقصُ شمسٌ على المزهريَّةْ

تقولُ:
لعينيكَ أعترفُ الآنَ..،
إنى عشقتُهما بشرياتٍ ثريَّةْ
وأشهدُ أنَّ السلالَ معبأةٌ..
بالسقوطِ المفوَّهْ
عشقتُهما غير جيلٍ يغازلُ عوراتِهِ..،
بالثوانى تسحُّ دواراً..،

وركضاً إلى الخلفِ يعصرُه .. ، ويَلَذُّ له ...،
غير جيلٍ على شفةِ اللعنةِ البحرِ..
تغفو مراكبُه..،
أيَّما الغضبين قدحتَ..
تملَّحتَ.. حتى تحارَ..
أتضحكُ تلك القواقعُ أم تتأوَّهْ؟!!
عشقتُهما مطراً راعداً..
يتفجَّر شوقاً لحقلٍ خصيبٍ..،
لأغنيةٍ كم تغامرُ..،
كم تتحدَّى زماناً يلخصهُ..
حبلُ مشنقةٍ..
وضبابٌ..
وهوَّهْ!!

عشقتُهما..
وعشقتُك أحنى احتلالٍ..
وأرضى اغتصابْ
فدعْ لى – حبيبى– بقيَّةَ وقتٍ..
أفكر..،
كيف الرَّوابى الغرورُ..

يباغتها البردُ كالنصلِ..،
فى لحظةٍ من صهيلِ اقترابْ
وكيف يرقِّصها الألم المستحمُ..
بعرى الحقيقةِ..،
كيف تضجُّ زئيرَ فوارسَ..،
كادتْ – معاذَ الخيولِ–
تصافحُ هذا الأوانَ الخنافسَ..،
كيف تموت حنيناً لعزٍّ اغترابْ
تقول:
حبيبى ، وفجَّرنى شعرُك الرفضُ..،
أيقظ فى عروبةَ نهدٍ صبىٍّ..،
فبايع صدركَ..
هذا المليكَ المليكَ المتوَّجْ
على أن نكونَ رعوداً ، فضاءً أبياً
وملحمةً بالسنا تتأجَّجْ
وبسمةَ طفلٍ جميلٍ..،
وموجة نيلٍ..،
ومجمرةً من عبيرٍ..،
ووشوشةً بالرؤى تتوهَّجْ

تقولُ .. يقولُ..
يقولُ.. تقولُ..،
تحمحمُ غابة بانْ
وتنتحر الظلمةُ الغجريَّةْ
وينهمرُ السَّيْسبانْ!!

*

تصدِّق يا أبتى..
سُفِّر الزمنُ البكرُ..
سفِّر حتى انشقاق الحُضورْ
فسافرَ فى شجرِى مطرُ النَّارِ..،
سافَرَ حتى الشَّواشى.. وأوغلَ حتى الجُذُورْ
أذاقوه بُعْدى ..، فوارحمتا للبَهَاءِ..،
وقصُّوا وتينِى..، فوارحمتا للفَضَاءِ..،
ووارحمتا للنسورْ
ولم نستطعْ أن ندوِّى بها..،
لا لحرق العبيرِ..
ولا لاعتقالِ الضياءِ..
ولا لاغتيالِ الرجولةْ
وكان علينا نظلُّ نزيفاً إلى آخر الشوطِ..

ليس يبلُّ ملابسنا ، يا إلهى..،
ترى ما الذى يتبقَّى وقد شنقَ الحقلُ صفصافَه ونخيلَهُ؟!
وكان على البحرِ خنقُ شواطئه الفارداتِ الحنينَ..،
لشمسِ العناق بذاتِ الحنينِ..،
وكان على الفرسِ العربىِّ مخاصمةُ النَّصرِ..،
كان عليه يسوِّدُ غرَّته والتواريخَ..،
كان عليه يهدُّ صهيلَهُ!!
لتسمح لأسئلتى أبتِى..،
يا ترى أين كنتَ..
وريحٌ تحطِّم غزلَك ..، ذا العشْقَ..
يهمى سنا أنبياءْ ؟
تُرى أين كنتَ..
وريحٌ تحطِّمنى والفواتحَ..
ريحٌ تبعثرُها والموانئَ..
كيف سمحتَ– وأنت الأميرُ–
لدودِ الزبالة يأكل خدَّ السماءْ؟!!
....
....
أريد أغنِّى..
فلا يملأ اللحنَ قيظُ الهواجرْ
أريد لأنسَى..،

وأنىَ..،
وكلُ النساء بعينىً ليلىَ..،
وكل المآذنِ ترجع بى لارتعاشةِ...
موعدِنا الأولِ الطِّفل..،
كل الجوانحِ تهتفُ بى لم يهاجِرْ
وأقسم يا أبتِى..
هاجرَ الوترُ الشاعرىُّ..،
ويمَّم صوبَ الضياعِ ..، وها أنذا..
بين أهلى ..، أكاد أجنُّ..،
شظايا صلاةٍ..
وخنجرَ فاجِرْ

أريد لأشطبَ ذاكرتِى..،
لم أكن أتصوَّر أنى أكدِّسُهُ..،
كلً هذا الفراغِ بأروقتى..،
لم أكن أتصوَّره كل هذا الضَّياعِ..
بدر بى أسطرُهُ
أنا الجيلُ..
خوفُ الصحارَى ..،
رصيفٌ بطول الشتاتِ وعرضِ الصقيعِ..،
مقاهٍ كأرضِ الخرابِ..،

جسومٌ مبلَّلةٌ بأُوارِ المياهِ الحرام..
تلاكُ مساء التلونِ بالرغباتِ الغواياتِ..،
تمخرُ روحَ اليقينِ ..،
وتفقأ بهو الثبوتْ!!
أناشدك الله .. لا تحتقرنى ..،
أليس الشِّواءُ بألفِ جفافٍ بكافِ مرائرِنَا كى نمُوتْ؟!!
ونوغلُ فى العزفِ والنَّزفِ..،
يرشقنا الليلُ بالخيبةِ العارِ..،
يغسلُنا الصبحُ بالعرَق النذلِ..،
وجهُ فضيحتنا خائفٌ ومخيفٌ..،
إلى أينَ يا أيها الجسدُ الوغدُ..،
تذهبُ بالوردِ ..،
تبعدُ بالرُّوح..،
تسرحُ بالمجتبى يا عنكبُوتْ؟
بربِّىَ من يدركُ الحفلَ..،
كفُوا عن الرقصِ..،
إن الجرادَ على قصعةِ الملكوتِ..،
ورخُ جهنَّمَ فى الرَّحمِ العربيَّةْ
سأشنقُ رُوحِىَ..،
كيفَ على رمحِ خزىٍ..
يُنكَّسُ نهدُ فتاةٍ نبيَّةْ ؟!

أكتوبر ٩٦

عبير

فى اللحظة التى ..

وصل فيها القطار الأخير ..

على رصيف الحياة

غرس هذه القصيدة ..

فيما يشبه العتاب !!

أهكذا ستكتبُ النهايةْ ؟!!
يازارعَ الزيتونْ
على جبالِ الصحوْ
أهكذا سيختفى إنسانْ ..
ويرتمى فى المحوْ ؟!!

*

سبعونَ عاماً من سجودِ الشوق والرجاءْ
وثورةِ الدموعِ فى الخفاءْ
تطعننى التبريحةُ الحمراءْ

وغصةٌ فى مطلعِ الصباحْ
وغصةٌ فى مطلعِ المساءْ
يغزلنى الشيبُ سراديبَ من الموتِ..
ولا من يسكبُ الخضارَ فى أجنحةِ الشتاءْ!!

سبعون عاماً ألبسُ القفارَ والتخوُّفَ المقيتْ
أن لا أعيشَ بعدما أموتْ
أن لا تكلِّمنى البيوتْ
أن لا يرانى المنتهى من كوَّةٍ فى خيمةِ التكشيفِ والسكوتْ
وجمرةُ النورِ..
تلوحُ فى قميصِ الملكوتِ دونما ثبوتْ
أثقبُ زرقةَ السماءِ...
علَّها تمطرنى خطفاً على أجنحةِ الياقوتْ
حتى أرانى .. ربمًا ..،
أو ربمًا..
فى ليلةٍ باردةٍ فى غرفةٍ من توتْ
أشربُ نهداً دافئاً يخبئُ الطيورَ والقمرْ
فى حانةِ الشجرْ
فيُقلعُ الشراعُ للمدينةِ الغناءِ ..، والمدينةِ المطرْ

أو ربمًا..
بمثلِها على شفا جرفٍ من الكبريتِ والشررْ
يشربني تابوتْ
مطهَّم النقْفْ
مهترئَ الجدرانِ والسقْفْ

سبعونَ عاماً آكلُ الخوْفْ
سبعون عاماً أشربُ الخوْفْ
يحرقني تمايلُ الغصونِ والبناتْ
يجدلْن بالخطوِ ضحى الليمونِ والصيْفْ
ويخرجُ اليمامُ من صدورهنَّ مثلما مراوحِ الماسْ
ويخرجُ التفاحُ مثلما قناديلِ فرَحْ

عمرٌ من الآهاتِ والنجوى
مُدَّ سدًى ...، يبحثُ عن سلوى
أجلْ ...، فماذا للذى يُحرمُ من قوسِ قزحْ؟!
يرسمه لطفلةٍ كالمشتهى
وشاحَ عشقٍ -تارةً-
وتارةً -خوفَ الذئابِ- سورْ
من قُبلةٍ تزرعُهُ فى فلةٍ من نورْ

أغرودةً لاتنتهى
شهيّةَ العصيرْ

من بسمةٍ فى عينِ قديسْ
تقولُ : طوبى للذين يزرعونَ العشقَ والزيتونَ والشموسْ
طوبى لغاسلى مساءَ قدمىْ يتيمْ
وحاملى صبحاً..
إلى أرملةٍ من خلفها أكوامُ لحمٍ جائعٍ..
أرغفةً ساخنةً من ضحكٍ يميسْ
طوبى لساكنى بيوتاً من وجعْ
وماسحى حزنَ مدًى بئيسْ

من لثغةٍ فى شفةٍ تُفدى بروحِ الروحْ
من رعشةٍ خضراءَ فى دمِ الصهيلِ المنتظَرْ
تحمله فوقَ جناحِ الدفءِ للإنشادِ والياقوتِ والصباحْ
من شمةٍ أو ضمةٍ حين يعودُ من سفرْ
من وجعٍ للقلبِ لو يخطفه البراحْ
يسرقُ من عينيه ميْسةَ الحصانِ الرامحِ
من وجعٍ – ويح الحنايا– جائحِ
مجرَّحَ العيونْ

حين الحياةُ تقتضيه دَيْنَ أن يكونْ
أن يتمشَّى خالعاً معطفَه تحت المطرْ
أن يتهجَّى الطلَّ والأطفالَ فى شعاعْ
ويشعلَ التهويدةَ الليليةْ
ينام فوق العشبِ والنعناعْ
وربمًا يبكى..،
وربما تنقرُ قلبه عصافيرٌ تهبُّ من روابى فكرةٍ شقيةْ
فيسرجُ التسهيدةَ الجمريةْ
يصبُّ فيها من أباريق الجوى والصمتْ
أن رائعاً..
يحفرُ فوق جبهةِ التاريخِ سيمَا ملكوتهِ الروىِّ الصوتْ
أن عالياً..
يركضُ مهراً يغزلُ الشمسَ فساتينَ هوًى لبنْتْ
تمرحُ عند الأفق المياسْ:
دمعاً..
وأوجاعاً ..
وتغريبةَ عمرٍ متعبٍ..
غارق..
فى القاعِ من بحرِ الظمأْ

وليس فى جعبتهِ ككلِّ كلِّ الناسْ
ليس سوى عجزٍ جفيفِ الكاسْ
وحفنةٍ من موتْ
تنثرهُ ... ، وينطفئْ!!

يا خالقَ الحياةْ
ماذا سوى هواجرِ الليلْ..،
سوى قوافلِ الدمعِ..،
سوى تشقق الروحِ..،
سوى الصلاةْ؟!!
ماذا سوى ويحى إذا غيرى من الرفاق بالجمع ذُكِرْ؟
وفى العشياتِ الوحيداتِ ذكرْ

وبتُّ منسياً أنا
ويحى إذا ظلُّوا برغم كلِّ حربةٍ هنا
وكنتُ مثل حبةٍ من بَرَدٍ..
رأتْ خيولَ الشمسِ ... فانحنتْ على صدرِ الفَنَا

ياصاحبَ الخزائنِ المملوءةِ اللاأبدًا .. تنفدْ
يا نورُ..
يا وهابُ..

يا مرقرقَ النجومِ عبر الأفق الممتدْ
يا خالقَ الفَراشِ والحقولِ والظباءِ والخريرْ
يا خالقَ العبيرْ
هل ولدٌ كثيرْ؟!!
هل واحدٌ كثيرْ؟!!
ولو أصمَّ .. لو كسيحَ .. لو ضريرْ
يبكى على قبرى..،
يرجوكَ أن ترحمَنى ..، يقرأُ لى فاتحةَ الكتابْ
والملكَ والرحمنَ..،
يدعوكَ بأن تيسِّر الحسابْ
وتسترَ العوراتِ والعيوبْ
وترفعَ الحجابْ
يزورُنى حتى لمرةٍ بكلِّ شهْرْ
وينثرُ الحنينَ فوقَ أعظمى .. والزهْرْ
ويشتكى .. كما بأمسِ كانْ
من ذبحهِ..،
ومن طغامٍ كسَّروا قوائمَ الحصانْ
يا رحمةَ الرحمنْ
أهكذا .. سيختفى إنسانْ؟!!

أهكذا؟!!

أهكذا؟!!

أفى عيونِكَ الكريمةِ السماويةْ

لمْ أحُلْ ياربى ؟!!

وهكذا فى الملكوتِ صُورتى..

مُسترذَلَ النجوى ..، مدنَّس اليديْنْ ؟!!

أم يا تُرى اقْتنيْتنى..

فليس بيننا وراءَ هذه اللحظةِ بينٌ..،

ليس أىُّ بيْنْ ؟!!

حرتُ أيا اللهْ

حرتُ أيا اللهْ

سبعونَ عاماً من صلاةِ الوجعِ المكسورْ

لأينَ..

ياربِّى..

لأيْنْ ؟!!

سبتمبر ٩٨

الكوفية الزرقاء

فى حياءٍ إلى

محمد الـــدرة

شهيـــد الـــورد

الفلسطينى، وإلى كل الورود الفلسطينية الشهيدة!!

جاءتِ الكوفيةُ الزرقاءُ..

من عند جسورِ النارِ والليلِ ..، عصاها..

فى التجلياتِ تسرى

– ما الشراشيبُ ؟

– يماماتٌ وموتٌ..،

بعد وعدينِ سآوى للسماواتِ الوحيداتِ..،

سريرى..

يدفعُ الريحَ ..، يجرُ الريحَ ..، زرعى..

ثورةُ الأشياءِ فى الدنيا..،

وحجمى أن تسمُّوا الماءَ والفجرَ..

محمَّدْ

كان مشغولاً حديدُ البابِ..،

والباصرةِ الفيحاءِ..،

جُرحى..

كان مشغولاً هو الآخرُ..

جرحى الّيتسامى

الشبابيكُ عيونُ الملتقى يا أبتى..،

فانتظرْ ثمَّ غماماً

وكلاماً

واعفِنى من جسدِى

جسدى تعرفُ أن ليس يجيئْ

يا لَحضنٍ يتبدَّدْ

تنزلُ الآن تنازيلى بروقاً تتوقَّدْ

وخيولاً..

وخُزامى

الشبابيكُ مواعيدُ الندى .. يا صاحبى..،

والحِلقُ الخضرُ..

ببطنِ الصخرةِ البيضا .. تأوَّدْ

يعقدُ النهرُ إصارَ البرقةِ القصوى..

فأشهدْ

الأَواذِىَّ الصَّفياتِ تمرَّدْ

خلف صخرِ الناصرةْ

وتكبّدْ

أن تجيءَ الفسحةُ الأولى تمامَ العاشرةْ

ويجيءَ الرملُ صدّيقاً تمام العاشرةْ

وتجيءَ الركعةُ الحاضنةُ الربَّ تمامِ العاشرةْ

أيها السَّفْرُ المغذّونَ إلى ...

أسمارنا الفردوسيةِ النارِ ، هو اللهْ ..

من النارِ..،

هو اللهُ من الذبحِ الملبَّدْ

وأنا بشرتُ قمصانى بذبحِ العمرِ..

ذبحِ القُبلةِ الرحْبى لتفصيلاتِ "فتحيةَ"..،

بشرتُ المدى بالرحلةِ الألفِ..

للشمسِ الحبيبةْ

فاسكبُوا لى فى الفضا أغنيةً..

تفتحُ الوجدَ .. حبيبةْ

ويماماً عربياً

إننى أعشقُ حتى السيرةَ الأنثى..،

هنا..

نضحكُ تكويناً سخيًّا

ونرى الله غدواً وعشيًا
كان حضناً للصبايا ما رأيتمْ من خرورى..،
وانكفاءِ الوجهِ..،
كان الحضنُ فواراً عفيًا
يا إلهى..
أضبطُ الآن نزوعاً لمكاتيبى لأمِّى..،
لمواعيدى على البحرِ..،
لشىءٍ من غباءٍ مسرحىٍّ..،
ولخيطٍ من قميصِ النومِ للبنتِ التى..
أشعلتُها ترجمةً..
للموجِ إذ يُقبلُ قلْعاً
لفراديسَ تمطَّى .. وتغندَرْ
أضبطُ الآن ذراعىَّ يضمانِ أخى..،
إذ لا أخى ، أواهُ .. أواهُ..،
إذ ليس تآويهُ ، أخى يارب..،
كانت بيننا ذاكرةٌ ..، لا..،
لستُ أحكى ..،
لا يتمُّ الحكىُ إلا بأخى ..، الحكىُ..
على ثغرِ أخى عسلٌ ..، والحرفُ أخضرْ

اسرحى يانارُ فى القشِّ اسرحى..،
ادخلى فى القلبِ..
إن البابَ مفتوحٌ ..، وجبَّاناتهُ خضَّرتِ الضوءَ..،
ادخُلى..،
كالحجرِ الصوَّانِ .. ادخلى ..، الصَّوانُ..
لا يجرفُهُ الموتُ .. ادخلى..،
غبتِ طويلاً..،

قرِّبى أكثرَ ... أكثرْ
قربى أجسرَ ... أجسرْ

ليستِ الكوفيَّةُ الزرقا..،
ولا النارُ..،
ولا الليل..،
هو الإسرا من الفصلِ إلى الوصلِ..،
من الشوكِ الأثيرىِّ..
إلى الوردِ الفلسطينىِّ..،
من وصمةِ أقدامِى إلى رفرفةِ الشمسِ..
على غصنِ ابتهالَهْ
أدركُ الآن بأنى فارغٌ جداً..،
وأنِّى تافهٌ جداً..،

وتعريفى لشمسى داخلٌ فى زمرةِ الرِّجسِ..،
وأنِّى مائتٌ حتى الثمالةْ
أرسمُ الأدفرَ إذ أمشِى..،
وإذ أنوى..،
وإذ أقعدُ..،
ما أجولةُ القيْحِ..
سوى ترسيمةٍ مثلى لمطموسِ الجلالةْ
وإذا يصطفقُ الشِّعر بأغصانِ مراياىَ..،
أنا منْ ؟!!
منْ أنا ؟!!
وحنانُ اللهِ لا يحنو علينا!!

ليستِ الكوفيةُ الزرقا .. ولا النارُ..
ولا الليلُ..،
هىَ الفرصةُ ما إنْ بعدها من فرصةٍ..
كى نصطلِى
بسماءِ الجبلِ
زهرةً بريةً فى قابِ قوسينِ وأدنى العسلِ
قمراً..

صيفيً موجِ اللذةِ / الفتحِ / التآويهِ..،
سجوداً يقطفُ النارَ..،
عيوناً تتحررْ
تمنحُ التنزيلَ أغزرْ
صلصلاتٍ..،
موسماً فيه المرايا تتمددْ
حالةً يقتصُها الشِّعرُ من الصفو المجرَّدْ
موجةً تُدعى الكرامةْ
تخلقُ الآن القيامةْ
من شخابيطِ قُلامةْ
من تآويهِ ندامةْ
من تباشيرِ الوسامةْ

ليست الكوفيةُ الزرقا.. ولا النارُ..،
ولا الليلُ..،

هو البعثُ المجوَّدْ
المدى ... مدْ
يتوجَّدْ
المدى ... أنِّى على ريشِ محمدْ
أتجدَّدْ
أتمجَّدْ

أزرعُ اللحظةَ تكبيراً .. ،وأصعدْ
لألامسْ
النبيينَ الحفاةْ
والغُنيماتِ الأوانسْ
الغُنيماتِ الشَّحامَى
وأمارسْ
منتهى صوفيةِ الثورةِ والتكوينِ..
والضوءِ المعاكِسْ
منتهى طرحِى زحاماً
ليتامى:
موجُ تنزيلِ النوارسْ
فى خطاهمْ..
يتولَّدْ
يتولَّدْ
يتولَّدْ!!!

نوفمبر ٢٠٠٠م

كتابة على ذيل عقرب

لعشرينَ ليلةْ
ألمٌ جماجمَ وهلةْ !!

لعشرينَ ليلةْ
يفجِّرني..
زنجبيلُ المدى
وشايُ الأهلَّةْ !!

لعشرينَ ليلةْ
تهاجمُ عيني دماءٌ مدببةٌ كمسلَّةْ!!

لعشرينَ ليلةْ
تكلِّمني
فوق موتيَ نحلةْ !!

لعشرينَ ليلةْ
أجرُّ الصباحَ..
إلى..
الرحمِ المستهلَّةْ !!

لعشرينَ تشخبْ
أسجِّلُ..
هرسَ الصبايا
على ذيلَ عقربْ !!

لعشرينَ تذوى..
تدبُّ الفراشةُ فوق حوائطِ روحى..،
وتسكبُ لونَ عباءتِها..
فى الجوارِ..،
وتمضى .. لتخترقَ الزعفرانْ
لعشرينَ..
فى..
جوعِ ..
روحى ..
تلبسُنى حسرتانْ !!

مارس ٢٠٠٢

أفران النص

إيهِ أفرانَ النصِّ ..، ألمْ تحتدِمي بعدُ ..؟!
قِبابٌ ربوُ الملكَةِ ..، والشمسُ عجوزٌ في الخبلِ الذهبيِّ ..، وليلُ السَّادةِ يكرهُنا..،
يا سادةُ ..للواطِي روحٌ مثلكُمو..، ولَرُبَّ يجيدُ الرقصَ الليليَّ ..، يجيدُ استسقاءَ
المتعةِ في أدبٍ عالٍ ..، ولَرُبَّ يجيدُ العزفَ المنفردَ على الجيتارِ ..، ولَرُبَّ يبكِّيكمْ
..، لكنَّ الليلَ الساديَّ أنيقٌ ..؛ يذبَحُ وردتَه أن يتمطَّى جربــوعٌ في شهوتِه فيلوِّث
من شقُّوا من رقصٍ جيبَ الأرضِ القدِّيسةِ ..، لكنَّ الليلَ الساديَّ نفيسٌ ..؛ من درٍّ
ويواقيتَ ..، فكيفَ سيلتقيانِ : التاريخُ وهذا الجرَبُ الشَّاسعُ ..؟ لكنَّ الليلَ الساديَّ
تقيٌّ..؛ يتهجَّد نافلةً بالطِّيب ورأسِ الفرسِ المطبوخــةِ تكرمــةً للأبرارِ المعصومينَ ..،
فأمَّا الواطُون ...

المكَّارون البُغضاءُ ..

فأقفالٌ غافلةٌ ..؛وتنامُ من المغربِ كفراخٍ منهكــةٍ ..؛ راضــينَ بديوانِ الفسَقةِ ...

عُمشِ الأرواحِ .، ولا أكتمكمْ سرًا .. إنَّ لنا رائحةً تدخلكمْ مـــن عاطنِها قبرًا ..،

فالحوبُ إذا قلتُ...

الحوبُ المتعاظمُ ....

يستويانِ : السادةُ

والغَنَمُ الحُقراءُ ..،

أيستويانِ ؟!!

ألمْ تحتدمي بعدُ ؟!!
أخشَّكِ ما خشَّ الأصلابَ من العمهِ الباهرِ .. والخيبـــةِ ..، لا..،
باللهِ أعيذُكِ أن تشتَبِهي
بالحيضةِ !! لا.... احتدِمي ..، لا فجرًا يأتينا أبيضَ ..، لا امرأةً
تلدُ الإنسانَ ..؛ يجيءُ
بحقدٍ ..، ينزلُ محشوًا طاعونًا .. شيبًا .. بارودًا ..، لا ..، لا ..،
منْ لي بالبوقِ فأقلبَها ؟!!
لقدِ انقلبَ البلدُ المغليُّ على ظهرى !!،
والعينُ بما رحُبتْ كادحةٌ أن تقرأ فرسًا .. أو نهرًا .. أو قمـــرًا يلثغُ ..،
كدرٌ ينبوعُ الروحِ ..،
بلي طينٌ ..، والهدهدُ كانَ ..، ولا مِن رائحةٍ لرجالٍ .. كانوا..،
والموجةُ راكضةٌ للدَّمِ .. دمِنا ..، شهدٌ هوَ .. وفراولةٌ.. أو عنبٌ ..، فيه من الشرقِ..

الولَعُ الأبديُّ .. وفيه اللذةُ ضاحكةً .. ، لا جَـرَمَ .. موائـدُهمْ تحتاجُكَ يا دمَنا الشّجنيَّ

الرائقَ ..، أنتَ الحسْبُ لشهوتِهمْ..، لا غيرُكَ يعْلو مَعْلَى ضـوءٍ فى نوعِكَ أو ظَفَرٍ .. ،

يا أحمرُ ..

يا ساخنُ كاللبْوَةِ .. !!

إيهٍ خائنةَ العشرةِ والوجعِ ..، وراكبةً هودجَها الضَّالعَ فـي التّشبيحِ وفي الظلمةِ ..،

ذبحونا السادةُ والأغرابُ الأبرارُ .. ارتخصُوا في رقصتهم دَمَنـا الربانيَّ الجائعَ ..،

ذبحونا جبَّارينَ ..،

وكنَّا نزرعُ بعضَ فسائلَ من وردٍ بحديقةِ منزلِنا الواطِى ..، كان الأطفالُ يغنُّون ..،

وكان النّسوةُ يضربْن على أوتارِ الشمسِ .. فتنقـدحُ الأشـجارُ أرائكَ للأقدارِ....

العصفوريَّةِ ..،

تنقدحُ بحارٌ ..،

وترَاقصُ ليِّنةً أرواحٌ مغسولةٌ

ياامرأةً عُلِّمتِ التَّدعيرَ ..، وراحتْ تفتحُ ماعيها للكذبِ القادمِ من خلفِ البحرِ..،

وعلِّم ثدياها العبْدانِ ..، وكنَّا..

نذخرُها للحكمةِ والمغنمِ ..، لمضاحكِ أحفادٍ في الظلِّ ..، لعـين الشمسِ مكحَّلةً .؛

ترتمدُ الدنيا وهي فراشاتٌ تجترح الشَّـرفَ ..، تربِّـي رابيـةَ العرفانِ ..،

وكنا ....

نمهرُها حبَّاتِ الأعينِ شرْطَ وصالٍ ممتلىءٍ..،

تَنوُّرٌ فوَّارٌ دمُنَا !!

والحرفُ بليدٌ كدماءِ السَّادةِ والمعصـومينَ الأحرارِ الخيَرةِ ..،

وأنا مقصوفٌ بالخرسِ الفاجرِ!!

عضواً عضواً تأكلني العقربُ ..،

وبتجريفٍ روحيَ ..،

وذراعيَ مكسورٌ ..،

مَنْ يحدِسُ بالحسني ؟

مَن يقذفُ بالنصِّ على الأمريكيِّ فيدمغهُ قسْرًا ؟!!

وأنا المنعيُّ ..

وناعِي مَنْ لِيطوا ..، ثم اقْتِيدُوا لمجازِرِهمْ سرًّا !!

فبراير ٢٠٠٣

مايو ٢٠٠٤

الفهرس

رقم الإيداع

٢١٩٩٠
٢٠٠٧